الرحمة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع المخالف وأثرها على المدعوين

إعداد:

د. مصطفى بن عبد الرحمن البار

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

المبحث التمهيدي

أهمية البحث:

تتأكد وتزداد أهمية الخطاب المتسم بالرحمة، وتأثيره عندما يكون مرتكزاً على قيم وتوجيهات ربانية، التي من المتوقع أن يسعى بقدر الإمكان للامتثال والعمل بها الدعاة والمثقفون؛ لمحاولة تحقيق تواصل فعّال يفضي إلى التقارب والتأثير الإيجابي على المدعوين، بمختلف شرائحهم وتوجهاتهم من جهة، والإسهام في معالجة ما قد يحدث من ممارسات خاطئة، وسلوكيات وأفعال مجانبة للصواب، وتصحيح ما يروج له من مفاهيم مغلوطة، تتهم الإسلام وأتباعه بالعنف والقسوة وفقدان الرحمة من جهة أخرى.

وبالإمكان الإشارة إلى أن حاجة الناس اليوم للعودة إلى الماضي بمعينه الصافي، والنهل من معطيات التراث الإسلامي الأصيل، واستخلاص نماذج يقتدى بها، لا تقل بل تفوق أهمية عن الحاجة إلى معطيات الحضارة المعاصرة، بإنجازاتها وإبداعاتها المتنوعة.

وفي سيرة نبي الهدى والرحمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة، فقد رأى الناس وقتئذٍ تلك الصفة الرائعة مطبقة في شتى جوانب حياتهم، وبالإمكان أن يراها ناس اليوم حال حرصهم على التعرف عليها، والتأسي بها، وللمشاركة في معالجة ما تمت الإشارة إليه، ولأهميته، والحاجة إليه، فقد تم اختيار هذا الموضوع تحت عنوان: الرحمة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع المخالف، وأثرها على المدعوين، حيث سنتطرق إلى عدد من النقاط المشار إليها في خطة البحث.

مشكلة البحث:

إن التدريب على اختيار الأسلوب المناسب المتسم بالرحمة عموماً في مخاطبة الناس، وإرشادهم، والتواصل معهم في مختلف الظروف والمواقف من ناحية، والسعي لمعالجة ما يخالفه وينافيه من خطاب القسوة، والتوتر، والعنف، ومجانبة الآداب المعتبرة مع المخالفين والمناوئين وغيرهم من ناحية أخرى؛ يعد من الأمور المهمة، والجديرة بالملاحظة والبحث والتقييم، وخاصة ما يتعلق بجانب الرحمة مع المخالف.

الدراسات السابقة:

من خلال التتبع والبحث لم أجد دراسة مستقلة تناولت هذا الموضوع "الرحمة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع المخالف، وأثرها على المدعوين" على الوجه الموجود في هذا البحث، وإنما توجد العديد من الدراسات والأبحاث المهمة في بابها، ومنها ما يلي:

- الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم[1]، حيث جاء الباب الأول عن الرحمة في رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم، وتضمن ثلاثة فصول، أحدها الرحمة في الكتاب والسنة، والباب الثاني عن رحمته صلى الله عليه وسلم بالمسلمين، وضمنه خمسة فصول عن: الرحمة بالضعفاء، بالمخطئين، بالأمة في جانب العبادات، بعموم الأمة، والفصل الأخير رحمته صلى الله عليه وسلم بالمسلمين حال الموت وبعده، وجاء الباب الثالث عن رحمته صلى الله عليه وسلم بغير المسلمين، وضمنه ستة فصول: نظرة الإسلام إلى النفس الإنسانية، رحمته بغير المسلمين في المجتمع الإسلامي، في تجنب الحرب، في أثناء الحرب، بالأسرى، والفصل الأخير: رحمته

(1) الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، أ.د. راغب السرجاني، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته الرياض، ط: الثانية، 1431هـ 2010م.

صلى الله عليه وسلم بزعماء الأعداء، ثم الباب الرابع: شبهات وردود، والباب الخامس والأخير: رؤية غير المسلمين للرحمة.

- مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم[1]، وتضمن ثمان محاضرات قيمة ومتنوعة، أُبرزت من خلالها صفة الرحمة في شخصيته صلى الله عليه وسلم بأسلوب علمي أكاديمي.
- الرحمة في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم[2]، وجاءت في ثلاثة فصول، الأول وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم القولية والعملية المتصلة بالرحمة، والثاني: آثار وصايا وتطبيقات الرسول صلى الله عليه وسلم في الناس من حوله، والثالث: نتائج الدعوة إلى التراحم وتطبيقها عملياً....
- الرسول صلى الله عليه وسلم الإنسان إنسانيته مع غير المسلمين[3]، وتضمن مقدمة واثنا عشر عنواناً، تطرق فيها إلى إنسانيته صلى الله عليه وسلم في الإحسان إلى غير المسلمين، أدب الدعوة، أدب الجوار، أدب الحوار، بث الأمن، العدل، التواضع، الأمانة، الصلة الاجتماعية، تقدير الكرامة الإنسانية، والحادي عشر: إنسانية الرسول صلى الله عليه وسلم في الرحمة بغير المسلمين. وأخيراً: إنسانية الرسول صلى الله عليه وسلم في الوفاء مع غير المسلمين.

وسوف تتم الاستفادة منها بمشيئة الله في الجوانب ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالي:

---

(1) مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، محاضرات: د. سارة آدم، إعداد: أ.د. زيد العيص، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته الرياض، ط: الثالثة، 1431 هـ 2010م.

(2) الرحمة في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، أ.د. حصة الزيد، دار التدمرية، الرياض، ط: الأولى، 1435 هـ 2014م.

(3) الرسول الإنسان إنسانيته مع غير المسلمين، د. صالح الزهراني، ديبونو للنشر، الأردن، ط: الأولى، 2011م.

أهداف البحث:

يهدف البحث بصفة رئيسة إلى:

أولاً: التعريف بجوانب الرحمة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع المخالف أياً كان، وآثار ذلك.

ثانياً: إبراز تعامله صلى الله عليه وسلم مع مختلف الظروف والمواقف الحياتية، والتي من المحتمل أن يمر بها الدعاة والمسلمون عموماً في أي وقت وزمان.

ثالثاً: محاولة تقديم دراسة تبرز الخطاب المقرون بالرحمة، وأثره في نشر الإسلام، والمساعدة في تصحيح وتكوين الصورة الذهنية الصحيحة عنه وعن أتباعه.

رابعاً: السعي لتزويد الكتبة بالبحوث المؤصلة، وليكون لبنة ضمن بقية ما سيقدم من أبحاث في هذا المؤتمر المهم عن الرحمة في الإسلام، وبخاصة خلال هذه الفترة.

منهج البحث

تعد هذه الدراسة من الدراسات النظرية، وسيتم بمشيئة الله التعامل مع المادة العلمية لهذا البحث، وفق المنهج العلمي المتبع في مثل هذه الدراسات، والذي يستخدم المنهج الاستقرائي والاستنتاجي، بحيث يتم حصر الجزئيات والوقائع وفحصها، ودراستها بواسطة الطريقة الاستقرائية، والاستنتاجية لتنظيم المعلومات المتوافرة في قالب معين، لمساعدة الباحث على استنباط نتائج صحيحة، تزوده بالحلول والمقترحات[1].

(1) كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، عبد الوهاب أبو سيلمان 64، دار الشروق، ط: السادسة، 1416هـ، وانظر: المدخل إلى إعداد البحوث والرسائل الجامعية في العلوم الاجتماعية أ.د. عبد الله الوليعي، 35، توزيع مكتبة جرير، ط: الأولى، 1433 هـ، والمدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د. صالح العساف 204، شركة العبيكان للطباعة الرياض، ط: الأولى، 1409 هـ.

التعريف بمفردات عنوان البحث:

- الرحمة: مفهوم الرحمة في اللغة يدل على الرقة والرأفة[1] والعطف والمغفرة، فيقال رحمه: إذا تعطف عليه ورق له[2] وتأتي الرحمة بمعان أخرى: كالنبوة، والإسلام، والرزق، والغيث.... [3] والمعنى المراد في هذا البحث هو ما يدل على العطف والرأفة، والمغفرة والرقة، كما سيتضح لاحقاً بمشيئة الله سبحانه وتعالى، مع الإشارة إلى أن الرحمة لا تقف من الناحية العملية عند حدوث الشعور بذلك، بل تتجاوزه إلى العمل بما تقتضيه، ولذا عرفت الرحمة بأنها صفة تقتضي إرادة إيصال الإحسان والخير والمصالح للناس[4].
- خطاب: الخطاب الكلام، يقال: خاطبه في الأمر: حدثه بشأنه[5] وفي القرآن الكريم: (فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وعَزَّنِي فِي الخِطَابِ) [ص: 23]، وقوله تعالى: (وآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وفَصْلَ الخِطَابِ) [ص: 20]، وقيل في تفسيره بأنه: "الكلام المخلص الذي

(1) وقيل: إن الرأفة أخص وأرق من الرحمة، ولا تكاد تقع في الكراهة، بينما قد تقع الكراهة للمصلحة في الرحمة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير 176/2، تحقيق: طاهر الزاوي وزميله، المكتبة العلمية بيروت، ط: د، 1399 هـ، ولسان العرب، ابن منظور 112/9، دار صادر بيروت، ط: الثالثة، 1414هـ.

(2) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس 498/2، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط: د، 1399هـ، ومختار الصحاح، الرازي 120، تحقيق: يوسف محمد، المكتبة العصرية الدار النموذجية بيروت، ط: الخامسة، 1420 هـ، ولسان العرب، ابن منظور 320/12، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي 1111، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط: الثامنة، 1426هـ.

(3) انظر: لسان العرب، ابن منظور، 12/ 230- 232.

(4) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني 347، تحقيق: صفوان الداوودي، دار القلم، الدار الشامية دمشق، بيروت، ط: الأولى، 1412هـ، وكتاب التعريفات، الجرجاني 110، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، 1403هـ.

(5) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى وآخرون) 243/1، دار الدعوة، ط: د، ت: د، والقاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، د. سعدي أبو جيب، 118، دار الفكر- دمشق، ط: الثانية، 1408هـ، وإستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري 34، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، ط: الأولى، 2004م.

ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس... وقيل: هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل، ولا إشباع ممل، كما جاء في وصف كلام الرسول صلى الله عليه وسلم"[1] وهو المراد في هذا البحث.

- المخالف: المخالف والمخالفة أن يسلك طريقاً غير طريق الآخر في قوله أو حاله، وخالفه إلى الشيء عصاه إليه بعد ما نهاه عنه، سواء كانت مخالفة تضاد أو لفظ وتنوع[2] وسواء عن طريق الخطأ المقصود أو غير المقصود، وهو ما يشمله البحث.
- أثر: الأثر يأتي بمعنى النتيجة والعلامة، وهو الحاصل من الشيء[3] وسيتم في ثنايا هذا البحث بمشيئة الله سبحانه وتعالى، الإشارة إلى بعض النتائج والآثار الإيجابية على المدعوين من المسلمين وغيرهم، وكيف أثر ذلك في مواقفهم.
- المدعوين: المدعو من توجه إليه الدعوة ويخاطب بها، وهو الإنسان عموما[4] والمراد به هنا المدعو من المسلمين وغير المسلمين في العهد النبوي.

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي 26/5، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط: الأولى، 1418هـ، وانظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، 173/21، 3، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى: 1420هـ، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي 162/15، تحقيق: أحمد البردوني وزميله، دار الكتب المصرية القاهرة، ط: الثانية، 1384هـ.

(2) انظر: لسان العرب، ابن منظور 90/9، والمفردات، الراغب 294، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي 552، وفقه التعامل مع المخالف، د. عبد الله الطريقي 16 17، دار الوطن الرياض، ط: الأولى 1415هـ.

(3) انظر: التعريفات، الجرجاني 9، والمفردات الراغب الأصفهاني 62.

(4) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان 373، مؤسسة الرسالة، ط: التاسعة، 1421هـ، والمدخل إلى علم الدعوة، د. محمد البيانوني 41- 42 و169، مؤسسة الرسالة بيروت، ط: الثالثة، 1434هـ، والأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع العاصر، د. عبد الرحيم المغذوي 574- 576، دار الحضارة للنشر والتوزيع الرياض، ط: الثانية، 1431هـ.

خطة البحث:

المبحث الأول: الإشارة إلى أهمية ومكانة الرحمة في الإسلام، ويتضمن:

أولاً: الإشارة إلى ما ورد من نصوص الرحمة في الكتاب والسنة.

ثانياً: الإشارة إلى أن الأمر بالرحمة والإحسان لا يتعارض مع النهي عن الموالاة.

المبحث الثاني: الرحمة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع المسلمين، ويتضمن:

أولاً: رحمته صلى الله عليه وسلم ورأفته في خطابه للمتكلم في الصلاة.

ثانياً: رحمته صلى الله عليه وسلم في خطابه للأعرابي وما حصل منه في المسجد.

ثالثاً: رحمته صلى الله عليه وسلم في خطابه وتوجيهه بمراعاة أحوال الناس بشأن إطالة الصلاة.

رابعاً: رحمته صلى الله عليه وسلم في خطابه للنفر الذين أرادوا التشديد على أنفسهم.

خامساً: رحمته صلى الله عليه وسلم في خطابه مع المخالف في نهار رمضان.

سادساً: رحمته صلى الله عليه وسلم في خطابه لمن طلب التطهير من الذنب.

سابعاً: رحمته وحلمه صلى الله عليه وسلم في خطابه بمن آذاه بالفعل والجفاء في المخاطبة.

المبحث الثالث: الرحمة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين، ويتضمن:

أولاً: رحمته صلى الله عليه وسلم في خطابه وشفقته بالمخالفين، وحرصه على هدايتهم.

ثانياً: رحمته في خطابه صلى الله عليه وسلم مع ثمامة بن أثار ونتائج ذلك.

ثالثاً: رحمته ولطفه صلى الله عليه وسلم في مخاطبة ومحاورة السائل المشدد في طرحه، ونتيجة ذلك.

رابعاً: رحمته صلى الله عليه وسلم في خطابه مع أبي سفيان وأهل مكة يوم الفتح.

خامساً: رحمته صلى الله عليه وسلم بعيادته الغلام اليهودي ودعوته إلى الإسلام.

سادساً: رحمته صلى الله عليه وسلم في موقف وفاة عبد الله بن أبيّ.

الخاتمة: النتائج والتوصيات.

قائمة المراجع والفهرس

المبحث الأول

بيان أهمية ومكانة الرحمة في الإسلام

أولاً: الإشارة إلى ما ورد من نصوص الرحمة في الكتاب والسنة:

من خلال ما ورد من نصوص مستفيضة عن الرحمة في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة يتضح بجلاء مكانة وأهمية هذه الصفة العظيمة، ومدى اعتناء الإسلام بها أيما اعتناء، وحثه عليها، فقد سمى الله سبحانه وتعالى ووصف بها نفسه في غير موضع من كتابه الكريم، فهو الرحمن الرحيم، ودعاه بها أنبياؤه ورسله عليهم السلام، كما وصف سبحانه وتعالى بها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، وأمر الناس بالعمل بها، بل ورد التوبيخ والتوجيه لمن لم يتصف ويعمل بها، مما يؤكد أهميتها، وضرورة اعتناء العلماء والدعاة بها، ومسيس الحاجة لمزيد من السعي لمحاولة جعلها واقعاً معاشاً في حياة الناس اليوم كما كانت في عهد سلف الأمة، بما يعود عليهم وعلى مجتمعاتهم والبشرية عموماً بالخير والآثار الإيجابية من ناحية، وبما يساهم في نشر دعوة الإسلام السمحة، وتقبل تعاليمها، ومعالجة وتصحيح ما قد ينشأ من سلوكيات ومفاهيم مخالفة من ناحية أخرى.

ويكفي إبرازاً لهذه المكانة، أن الله تبارك وتعالى قال: (كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) [الأنعام: 12]، وقال: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) [الأنعام: 54]، فقد قضى سبحانه وتعالى أنه رحيم بعباده، يقبل منهم التوبة والإنابة، وإقبال المتولين عنه إليه، ولا يعجل عليهم بالعقوبة[1]، فهو (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3)) [الفاتحة] [2] وهو الحنان ذو الرحمة الرحيم بعباده[1]

(1) انظر: جامع البيان، الطبري 273/11، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي 395/6، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية 271/2، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، 1422هـ.

(2) وللإطلاع على مواضع ذكرهما في القرآن الكريم منفردين أو مقترنين، بالإمكان مراجعة بحث تناول هذه الجزئية بشيء من التفصيل: رحمة الله سبحانه وتعالى أسبابها وآثارها، د. مسفر الغامدي 185 207 و213، مجلة البحوث الإسلامية، العدد 45 ربيع الأول إلى جمادى الثانية 1416هـ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء المملكة العربية السعودية.

وقال سبحانه وتعالى: (وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ) [الأنعام: 133]، وقوله سبحانه وتعالى: (وَرَحْمَتِي وسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) [ص: 156]، فرحمته سبحانه وتعالى الواسعة تشمل جميع الخلق[2] وقد جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال الله سبحانه وتعالى: "سبقت رحمتي غضبي"[3].

كما حرص أنبياء الله ورسله عليهم السلام على طلب رحمته سبحانه وتعالى، ومن ذلك قوله تبارك وتعالى في دعاء آدم وزوجه عليه السلام: (قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وإن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ (23)) [الأعراف]، وفي نوح عليه السلام: (وإلاَّ تَغْفِرْ لِي وتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الخَاسِرِينَ) [هود: 47]، وعن موسى عليه السلام: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ولأَخِي وأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (151)) [الأعراف]، كما قال سبحانه وتعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ولَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران: 159]، وأخبر أنه أرسله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، فقد جاء صلى الله عليه وسلم بالرحمة لكافة الخلق فيما تضمنه القرآن الكريم[4] حيث قال تعالى: (ومَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107)) [الأنبياء]، وقد بين ذلك ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره، حين قال: "وأولى القولين في ذلك بالصواب، القول الذي

---

(1) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير 453/1، ولسان العرب، ابن منظور 13/ 128، ومختار الصحاح، الرازي 83 و115.

(2) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي 72/5، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، 1415هـ، ومحاسن التأويل، القاسمي 322/4، تحقيق: محمد السود، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، 1418هـ.

(3) صحيح مسلم، كتاب التوبة، سعة رحمة الله سبحانه وتعالى...، 2108/4 رقم 2751، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط: د، ت: د، وانظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله: "بل هو قرآن مجيد..." 160/9 رقم 7553، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى، 1422 هـ.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير 385/5، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط: الثانية، 1420هـ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي 251/4، دار الفكر بيروت، ط: د، 1415هـ.

رُوي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم"[1].

رحمة لهم في الدين والدنيا؛ لأن ما بعث به صلى الله عليه وسلم سبب لإسعاد البشرية، وموجب لصلاح دنياهم وأخراهم[2] "أما في الدين فلأنه صلى الله عليه وسلم بعث والناس في جاهلية وضلالة، وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم، لطول مكثهم وانقطاع تواترهم، ووقوع الاختلاف في كتبهم، فبعث الله سبحانه وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب، فدعاهم إلى الحق، وبين لهم سبيل الثواب، وشرع لهم الأحكام، وميز الحلال من الحرام، ثم إنما ينتفع بهذه الرحمة من كانت همته طلب الحق، فلا يركن إلى التقليد ولا العناد والاستكبار... وأما في الدنيا فلأنهم تخلصوا بسببه من كثير من الذي والقتال والحروب، ونصروا ببركة دينه"[3].

وقد بين صلى الله عليه وسلم أنه نبي الرحمة، الذي بعثه الله بها، ومن ذلك تسميته لنفسه بأسماء منها قوله صلى الله عليه وسلم: "أنا مُحَمَّدٌ، وأحمدُ... ونبي التوبة، ونبي الرحمة"[4].

فقد كان صلى الله عليه وسلم رحيماً بأمته كافة، ومن ذلك رحمته بالمخالف منهم، فعلى سبيل المثال أنه "قيل: يا رسول الله ادعُ على المشركين قال: "إني لم أُبعث لعَّاناً، وإنما

(1) جامع البيان، الطبري 18/ 552، وانظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي 725، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم الدار الشامية دمشق، بيروت، ط: الأولى، 1415هـ، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي 320/3، تحقيق: عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط: الأولى، 1420هـ.

(2) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي 62/4، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي 63/6 و350/11.

(3) مفاتيح الغيب، الرازي 193/22، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط: الثالثة، 1420هـ، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي 687/5، دار الفكر بيروت، ط: د، ت: د.

(4) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، في أسمائه صلى الله عليه وسلم 1828/4 رقم 2355.

بُعِثتُ رحمةً"[1] كما كان رحيماً شفيقاً على المخالفين له في أشد المواقف، التي تعرض فيها للأذى، لدرجة أنه صلى الله عليه وسلم يأتيه ملك الجبال، وهو مهموم على وجهه الشريف من شدة ما لاقاه منهم، فيختار الرحمة عوضاً عن الانتقام والعذاب، فقد جاء عن جبريل عليه السلام أنه قال: "إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمُره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ، ثم قال: يا مُحمد، فقال... إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟[2] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يُشرك به شيئاً"[3].

قال ابن حجر رحمه الله: "وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على قومه، ومزيد صبره وحلمه صلى الله عليه وسلم وهو موافق لقوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ) [آل عمران: 159]، وقوله: (ومَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107)) [الأنبياء]" [4].

ولذا جاء التوجيه من المصطفى صلى الله عليه وسلم أيضاً بالحث على رحمة الناس والتحذير من خلاف ذلك، فقد ورد أن الأقرع بن حابس[5] أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يُقبّلُ الحسن فقال: إنَّ لي عشرة من الولد ما قَبلتُ واحداً منهم، فقال رسول الله صلى الله

(1) المرجع السابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، 2006/4 رقم 2599.

(2) جبلي مكة أبي قبيس والجبل الذي يقابله، سميا بذلك لصلابتهما، وغلظ حجارتهم. انظر: شرح صحيح مسلم، النووي 155/12 والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير 32/2.

(3) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم أمين والملائكة...، 115/4 رقم 3231.

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر 316/6، رقمه: محمد عبد الباقي، صححه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة بيروت، 1379هـ.

(5) الأقرع بن حابس التميمي، من المؤلفة قلوبهم، حسن إسلامه، وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر 252/1 رقم 231، وأسد الغابة، ابن الأثير 264/1 رقم 208.

عليه وسلم: "إنه من لا يرحم لا يرحم"[1] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما لا يرحم الناس، لا يرحمه الله عز وجل"[2] فالحديث يدل بمنطوقه على أن الله لا يرحم من لا يرحم الناس، وبمفهومه على أن من يرحم الناس يرحمه الله[3]. وبيّن "العلماء أن هذا عام يتناول رحمة الأطفال وغيرهم"[4].

بل تجاوز الحث على الرحمة التي دعا إليها الإسلام، البشر إلى الحيوان، فهذا رجل غفر له لرحمته وسقياه لكلب[5]، وتلك امرأة دخلت النار لحبسها هرة[6].

وقد علق ابن بطال رحمه الله بقوله: "في هذه الأحاديث الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم كافرهم ومؤمنهم، ولجميع البهائم والرفق بها، وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها في أبناء جنسه وفي كل حيوان"[7].

وسيتضح المزيد من الأمثلة والتطبيقات العملية للرحمة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع المخالف من المسلمين وغير المسلمين، وآثار ذلك من خلال المبحث الثاني والثالث، وقبل البدء بذلك أختم المبحث الحالي بشيء من الإيضاح للجزئية التالية.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال، 1808/4 رقم 2318.

(2) المرجع السابق، كتاب الفضائل، رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال، 4/ 1809 رقم 2319.

(3) انظر: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، السعدي 188، تحقيق: عبد الكريم آل الدريني، مكتبة الرشد، ط: الأولى، 1422هـ.

(4) شرح صحيح مسلم، النووي 77/15.

(5) انظر: صحيح مسلم، كتاب السلام، فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها 1761/4 رقم 2244.

(6) انظر: المرجع السابق، كتاب البر والصلة والآداب، تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي 2023/4 رقم 2619.

(7) شرح صحيح البخاري، ابن بطال 219/9، تحقيق: أبو تميم بن إبراهيم، مكتبة الرشد الرياض، ط: الثانية.

ثانياً: الإشارة إلى أن الأمر بالرحمة والإحسان لا يتعارض مع النهي عن الموالاة:

إن التعامل بالرحمة والإحسان مع النسا عامة بما هو من مكارم الأخلاق وفضائلها أمر مطلوب ومرغب فيه، ولاسيما إن كان لغير المسلمين لدعوتهم إلى الإسلام وبيان محاسنه، ولا تعارض بينه، وبين ما ورد من النهي عن الموالاة، فقد قال الله سبحانه وتعالى: (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ ولَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ (8)) [الممتحنة]، وقد بين ابن جرير رحمه الله أن: "أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم"[1] وعن أسماء[2] رضي الله عنها قالت: "قدِمَت علي أمي وهي مُشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قُلتُ: وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: نعم صلي أمك"[3] فأمرها صلى الله عليه وسلم بالقبول والإكرام[4].

وقد ذكر القرافي رحمه الله (الفرق بين قاعدة بر أهل الذمة، وقاعدة التودد لهم" حيث أشار إلى ما يؤكد جانب الرحمة والإحسان بقوله: "الإحسان لأهل الذمة مطلوب، وأن التودد والموالاة منهي عنهما، والبابان ملتبسان، فيحتاجان إلى الفرق..."، ثم ذكر أمثلة من

---

(1) جامع البيان، الطبري 23/ 223.

(2) أسماء بنت أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة، زوج الزبير بن العوام، وأخت أم المؤمنين عائشة، من أوائل من أسلم من الصحابيات، كانت تسمى بذات النطاقين، عمرت حتى بلغة المائة، وكانت من آخر المهاجرات وفاة، توفيت سنة 73 هـ، انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير 7/7 رقم 6705، تحقيق: علي معوض وزميله، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، 1415هـ، وسير أعلام النبلاء، الذهبي 287/2 رقم 52، تحقيق: بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، 1405هـ.

(3) صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين، 3/ 164 رقم 2620.

(4) انظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني 11/ 145، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط: الثانية، 1401هـ.

مكارم الأخلاق في التعامل معهم، كقوله: "وأما ما أمر به من برهم ومن غير مودة باطنية، فالرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم، والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة... والدعاء لهم بالهداية... فإن ذلك من مكارم الأخلاق" ثم قال في نهاية ذلك: "وبالجملة فبرهم والإحسان إليهم مأمور به، وودهم وتوليهم منهي عنه، فهما قاعدتان: إحداهما محرمة والأخرى مأمور بها"[1].

وكما تمت الإشارة إلى الفرق بين الرحمة وحسن التعامل والتودد غير المشروع، تجدر الإشارة هنا إلى أن استخدام القوة المشروعة في مواطنها المحددة شرعاً، هي كذلك نوع من الرحمة بالخلق، حيث بالإمكان أن يرى من واقع السيرة النبوية العطرة، كيف أن القوة المشروعة تحمي الرحمة، وبأن الرحمة تهذب القوة، وتحاصر فيها مظاهر الشر والقسوة، غير المبررة شرعاً، فهو منهج متوازن، كيف لا، وهو صلى الله عليه وسلم الرحيم بأمته، والأسوة الحسنة لهم، وتم الاكتفاء بالإشارة إلى ذلك، والإحالة أدناه لمزيد من الإطلاع لكونه

لن يتم التطرق لهذه الجزئية في هذا البحث لطبيعة مجاله ومحدوديته[2].

(1) الفروق، القرافي 14/3 16، عالم الكتب بيروت، ط.د، ت.د.، وانظر: فتح الباري، ابن حجر 234/5 و528/10، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي 48/3، تحقيق: محمد مستو وآخرون، دار ابن كثير دمشق، ط: الأولى، 1417هـ.

(2) ولمزيد من الاطلاع على هذا الجانب، انظر: على سبيل المثال: شرح السنة، البغوي 13/ 213-214، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد الشاويش، المكتب الإسلامي دمشق، بيروت، ط: الثانية، 1403هـ، ومفاتيح الغيب، الرازي 193/22، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي 31/2، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، ط: الأولى، 1416هـ، والرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، أ.د. راغب السرجاني 127 135 و 367، ومظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إعداد: إ.د. زيد العيص 109 وما بعدها و119.

المبحث الثاني

الرحمة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع المسلمين

من المعلوم أن الإنسان اجتماعي بطبعه، يخالط ويألف ويعيش مع الناس، ويسعى لتكوين علاقات متنوعة، وهو معرض على مر التاريخ، وبحكم بشريته للوقوع في المخالفة، والخطأ المقصود وغير المقصود من جراء وخلال تلك العلاقات الإنسانية.

وسيتم من خلال المبحثين (الثاني والثالث) التطرق بمشيئة الله سبحانه وتعالى لوقائع وأمثلة متنوعة، يتبين من خلالها كيف كانت الرحمة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع المخالف من المسلمين وغير المسلمين، والإشارة إلى آثار ذلك؛ محاولة لإعطاء صورة ونموذج واقعي لتلك الحقبة المباركة، وإمكانية التأسي بها من قبل العلماء والدعاة وغيرهم.

وسيكون الحديث في هذا المبحث (الثاني) عن الرحمة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع المخالف من المسلمين، على ضوء أمثلة ومواقف حياتية متنوعة تبرز من خلالها تلك الصفة العظيمة، وذلك الخلق الكريم، فبشيء من التتبع والاستقراء لسيرته العطرة صلى الله عليه وسلم نجده يعطي أروع الأمثلة وأرقاها لأتباعه للتأسي والاقتداء به في هذا السلوك، دون تكلف ولا عناء، وإنما هي الفطرة السليمة وتعاليم الإسلام السمحة.

ولذا نجده صلى الله عليه وسلم في عدد من المواقف والأحداث يهم أصحابه الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم بالإنكار حرصاً على ما يرونه مخالفاً لما عهدوه وتعلموه، فيأتي خطاب وتوجيه النبي القدوة والرحمة المهداة صلى الله عليه وسلم محملاً بالرحمة والشفقة في معالجة تلك المواقف والأحداث، ومما يوضح ذلك ويبينه ما يلي:

أولاً: رحمته صلى الله عليه وسلم ورأفته في خطابه للمتكلم في الصلاة:

فهذا أحد الصحابة، معاوية بن الحكم رضي الله عنه يروي ما حصل له عندما تكلم في الصلاة، وشمت العاطس، وهو خلاف ما يجب أن يكون فيها، وكيف تعامل معه من في المسجد، أثناء الصلاة، وكيف خاطبه النبي صلى الله عليه وسلم بعد انقضائها، حتى أثر ذلك في نفسه، وقال ما قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء في الحديث: "عن معاوية بن الحكم السُّلَمِيّ[1]، قال: بينا أن أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وَاثُكلَ أُمِّيَاه، ما شأنكم؟ تنظُرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصَمتونني، لكني سكتُّ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمي، ما رأيت مُعلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فو الله، ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن"[2].

فقد وصف الموقف الذي دار بينه وبين من في المسجد رضي الله عنهم أجمعين حينما أتى في الصلاة بما يخالف صفتها، بأنهم نظروا إليه نظر المنكر وحذروه[3]، بينما كان منه صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء الصلاة ما يدل على الرحمة والرأفة، فلم يغلظ عليه في الخطاب، ولا استقبله بالعبوس[4] وإنما بين صلى الله عليه وسلم له ما يصلح وما لا يصلح في الصلاة. ولهذا قال رضي الله عنه متأثراً بهذا الموقف: "فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً قبله

(1) معاوية بن الحكم له صحبه، يعد من أهل الحجاز، سكن المدينة، له حديث تشميت العاطس في الصلاة وغيره. انظر: أسد الغابة، ابن الأثير 199/5 رقم 4981، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر 118/6 رقم 8082، تحقيق: عادل عبد الموجود وزميله، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، 1415هـ.

(2) صحيح مسلم، كتاب المساجد...، تحريم الكلام في الصلاة... 381/1 رقم: 537.

(3) انظر: نيل الأوطار، الشوكاني 270/2، تحقيق: عصام الصبابطي، دار الحديث مصر، ط: الأولى، 1413هـ.

(4) معالم السنن شرح سنن أبي داود، الخطابي 221/1 222، المطبعة العلمية حلب، ط: الأولى، 1351 هـ.

ولا بعده أحسن تعليماً منه، فو الله، ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني... "فهنا اتضح أثر هذه الرحمة على الصحابي الجليل، فقال ما قال في وصف النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا الصدد يقول النووي رحمه الله معلقاً على الحديث بما يبين رحمته صلى الله عليه وسلم وشفقته وأهمية التأسي به: "فيه بيان ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظيم الخلق، الذي شهد الله سبحانه وتعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته بأمته وشفقته، عليهم، وفيه التخلق بخلقه صلى الله عليه وسلم في الرفق بالجاهل وحسن تعليمه، واللطف به وتقريب الصواب إلى فهمه"[1].

ثانياً: حرمته صلى الله عليه وسلم في خطابه للأعرابي، وما حصل منه في المسجد:

وشبيهاً في كيفية التعامل مع الموقف السابق، ما حصل مع الأعرابي الذي أتى إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبال في ناحية من نواحيه، فتناوله الناس رضي الله عنهم بألسنتهم، وزجروه، وأنكروا، عليه فعلته المخالفة[2]، فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك الصنيع، وتعامل معه بكل رأفة ورحمة، وتمت معالجة ما أحدثه الأعرابي، واستدراكه بغسله بالماء دون انتشاره[3] وتعليمه بأسلوب رحيم شفيق ما يصلح وما لا يصلح الإتيان به في بيوت الله سبحانه وتعالى، فقد جاء أنه: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال

(1) شرح صحيح مسلم، النووي 20/5.

(2) انظر: عمدة القاري، العيني 128/3.

(3) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال 327/1، وقد بين العلماء الحكمة من ترك الأعرابي إكمال ما بدأ به، ومنها تحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما، ولمزيد من الإطلاع حيال هذه الجزئية بالإمكان مراجعة: شرح صحيح مسلم، النووي 193/3، وفتح الباري، ابن حجر 323/1، وعمدة القاري، العيني 127/3.

لهم النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماءٍ، أو ذنوباً من ماءٍ، فإنما بُعثتم مُيسرين، ولم تُبعثوا مُعسرين"[1].

وعند مسلم رحمه الله "أنه جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تُزرِمُوهُ دعوهُ" فتركوه حتى باب، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة وقراءة القرآن"[2].

وقد أثر ذلك الموقف في الأعرابي وفدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبيه وأمه، حيث لم يؤنبه أو يوبخه[3]، بل خاطبه صلى الله عليه وسلم برأفة ورحمة وحسن خلق، كيف لا، وهو كما وصفه الله سبحانه وتعالى أنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، وأنه صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم[4].

ومن كمال رحمته صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف أنه وجه أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم الذين هم في مقام التبليغ عنه بقوله: "فإنما بُعثتم مُيسرين، ولم تُبعثوا مُعسرين" حيث تم تأكيد هذا الأمر في خطابه صلى الله عليه وسلم لهم بالتيسير، وبعده بعدم التعسير، فهو تأكيد بعد تأكيد للدلالة على اليسر قطعاً[5].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد 54/1 رقم 220.
(2) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، وجوب غسل البول وغيره من النجاسات. 236/1 رقم 285.
(3) انظر: فتح الباري، ابن حجر 325/1.
(4) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال 327/1، وفتح الباري، ابن حجر 325/1، وإكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض 109/2، وتحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء مصر، ط: الأولى، 1419هـ.
(5) انظر: عمدة القاري، العيني 128/3.

وكان من رحمته ورأفته صلى الله عليه وسلم أنه في شأنه كله، يوجه صلى الله عليه وسلم أصحابه وأتباعه من بعده بالتيسير وترك كل عسير[1].

ثالثاً: رحمته صلى الله عليه وسلم في خطابه وتوجيهه بمراعاة أحوال الناس بشأن إطالة الصلاة:

ومن الأمثلة والنماذج الرائعة أيضاً الدالة على رحمته وشفقته بأمته، ومراعاة أحوالهم ما حدث عندما أتاه آت يشكو ما حصل له من إطالة الإمام للصلاة، وتبيينه للرسول صلى الله عليه وسلم أنه صحاب عمل؛ يعتريه ما يعتريه من التعب الذي يضعف قدرته على تحمل تطويل الصلاة، فما كان من نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم إلا أن وجه معاذاً[2] بما يجب العمل به، ومراعاة أحوال الناس.

فقد جاء في الحديث أنه: "اقبل رجل بناضحين[3] وقد جنح الليل فوافق مُعاذاً يُصلي، فترك ناضحهُ وأقبل إلى مُعاذ، فقرأ بسورة البقرة –أو النساء– فانطلق الرجل وبلغه أن معاذاً نال منه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه معاذاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا معاذ، أفتَّانُ أنت" –أو "أفاتِنٌ"– ثلاث مرار: "فلولا صليت بسبح اسم ربك، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، فإنه يُصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة"[4] ولذا بوّب البخاري رحمه الله لهذا الموضوع باب: "من شكا إمامه إذا طول".

---

(1) انظر: حاشية السندي على سنن النسائي، السيوطي 49/1، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، ط: الثانية، 1406هـ.

(2) معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة وبدراً وأحداً، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمره لما أسلم ثماني عشرة سنة، أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، وهو من علماء وفقهاء الصحابة، توفي بالطاعون في الشام سنة ثماني عشرة، وكان عمره قرابة ثمان وثلاثين سنة. انظر: أسد الغابة، ابن الأثير 187/5 رقم 4960، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر 107/6 رقم 8055، وسير أعلام النبلاء، الذهبي 443/1 رقم 86.

(3) تثنية ناضح، والنواضح: الإبل التي يسقى عليها، انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض 381/2، وفتح الباري، ابن حجر 200/2، وإرشاد الساري، القسطلاني 59/2.

(4) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول 142/1 رقم: 705.

فالرجل بين حاله بأنه صاحب إبل يسقي عليها النخل والزرع، ويعمل بها، فيتعب وينصب، ومن ثم تضعف قواه، فلا يستطيع تحمل تطويل الصلاة[1] وهنا ورد توجيه نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم للصحابي الجليل معاذ رضي الله عنه بمراعاة أحوال الناس، وعدم التنفير والصد عن الدين[2]، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بفعله أيضاً، حين قال: "إني لأقُومُ في الصلاة أُريدُ أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوَّزُ في صلاتي كراهية أن أشق على أُمهِ"[3] قال ابن حجر رحمه الله: "وفيه شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه ومراعاة أحوال الكبير منهم والصغير"[4].

رابعاً: رحمته صلى الله عليه وسلم في خطابه للنفر الذين أرادوا التشديد على أنفسهم:

إن من رأفته ورحمته بأمته صلى الله عليه وسلم أن يعلمهم الوسطية، وسلوك الطريق المؤدي إلى تعاليم الإسلام السمحة، دون إفراط ولا تفريط، ويبعدهم عن كل ما من شأنه الإفضاء إلى طريق التشدد، وتصحيح المفاهيم والسلوكيات المؤدية إلى المخالفة، ومن ذلك الرهط الذين رغبوا في التشديد على أنفسهم، ومخالفة هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادة وغيرها، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن وجههم ومن بعدهم بما يجب أن يكونوا عليه.

ورد في الحديث أنه: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني

(1) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي 182/4، وإكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض 381/2.
(2) انظر: المرجع السابق، وإرشاد الساري، القسطلاني 67/9، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب 231/6، تحقيق: محمد عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية المدينة النبوية، ط: الأولى، 1417هـ.
(3) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي 143/1 رقم 707.
(4) فتح الباري، ابن حجر 2/ 202.

أصلي الليل أبداً، وقال آخرُ: أنا أصوم الدهر ولا أُفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: "أنتُمُ الذين قُلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم، لله وأتقاكُم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[1]، وجاء في صحيح مسلم رحمه الله: أنه قال بعضهم: "لا أتزوجُ النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضُهُم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه، فقال صلى الله عليه وسلم: "ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنتي فليس مني"[2].

فهم قدموا بيت النبي صلى الله عليه وسلم مستفسرين عن عبادته، فبدلاً من حسن التأسي والاقتداء، وسلوك مسلكه الرحيم صلى الله عليه وسلم، تداولوا ما تخيلوه الأفضل بحسب ما قدروه وتأوّلوه في أنفسهم، فقالوا ما قالوا[3].

ولكون مثل هذا، المسلك الذي ظاهره التشدد، ومؤداه إلى مخالفة ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الحنيفية السمحة، حيث إن "الأخذ بالتشديد في العبادة؛ يفضي إلى الملل القاطع لأصلها، وملازمة الاقتصار على الفرائض مثلاً، وترك التنفل يفضي إلى إيثار البطالة، وعدم النشاط إلى العبادة، وخير الأمور الوسط"[4].

ولذا نجده صلى الله عليه وسلم وهو الرحيم حين لقي هؤلاء الرهط فيما بينه وبينهم حذرهم من ذلك؛ رفقاً بهم وستراً لهم[5]، وعندما أراد أن ينبه الجميع للتحذير من الوقوع في مثله، قال: "ما بالُ أقوام قالوا كذا وكذا؟" وفي هذا الصدد قال النووي رحمه الله: "هو موافق

(1) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح 2/7 رقم: 5063.
(2) صحيح مسلم، كتاب النكاح، استحباب النكاح لمن تاقت نفسه 1020/2 رقم: 1401.
(3) انظر: إرشاد الساري، القسطلاني 4/8، وفتح الباري، ابن حجر 105/9، وفيض الباري على صحيح البخاري، محمد أنور شاه 497/5، تحقيق: محمد الميرتهي، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، 1426هـ.
(4) فتح الباري، ابن حجر 106/9.
(5) انظر: عمدة القاري، العيني 65/20، وفتح الباري، ابن حجر 105/9.

للمعروف من خطبه صلى الله عليه وسلم في مثل هذا، أنه إذا كره شيئاً، فخطب له ذكر كراهيته، ولا يعين فاعله، وهذا من عظيم خلقه صلى الله عليه وسلم فإن المقصود من ذلك، الشخص، وجميع الحاضرين، وغيرهم ممن يبلغه ذلك، ولا يحصل توبيخ صاحبه في الملأ"[1].

وقد بين العلماء أن في هذا الحديث التوجيه لهم، ولمن بعدهم، بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم، وبمن سار على نهجه، وذلك بالأخذ بالتوسط، فقد قال ابن بطال رحمه الله: "وفيه الاقتداء بالأئمة في العبادة، والبحث عن أحوالهم، وسيرهم في الليل والنهار، وأنه لا يجب أن يتعدى طرق الأئمة؛ الذين وضعهم الله ليقتدي بهم في الدين والعبادة، وأنه من أراد الزيادة على سيرهم فهو مفسد، فإن الأخذ بالتوسط والقصد في العبادة أولى؛ حتى لا يعجز عن شيء منها"[2].

خامساً: رحمته صلى الله عليه وسلم في خطابه مع المخالف في نهار رمضان:

ومن الأمثلة الدالة على رحمته وشفقته صلى الله عليه وسلم مع من وقع في مخالفة، وارتكب ذنباً، ذلك الموقف الرحيم، وتلك المعالجة اللطيفة مع ذلك الرجل الذي جاءه خائفاً على نفسه، مستفتياً ومقراً بمخالفته، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن تعامل معه وخاطبه برحمة ورأفة.

ورد في الحديث أنه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فقال: يا رسول الله هلكتُ. قال: "ما لك؟" قال: وقعتُ على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل تجد رقبةً تُعتقُها؟" قال: لا، قال: "فهل تستطيع أن تصوم شهرين مُتتابعين"، قال: لا، فقال: "فهل تجد إطعام ستين مسكيناً". قال: لا، قال: فمكث النبي

(1) شرح صحيح مسلم، النووي 9/ 176.
(2) صحيح البخاري، ابن بطال 160/7، وإرشاد الساري، القسطلاني 4/8، وعمدة القاري، العيني 66/20.

صلى الله عليه وسلم فبينا نحن على ذلك أُتي النبيُّ صلى الله عليه وسلم بِعَرَق فيها تمر – والعرقُ المِكتَلُ[1]– قال: "أين السائل؟" فقال: أنا، قال: "خذها، فتصدق به" فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فو الله ما بين لابتيها –يُريدُ الحرَّتين[2]– أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابُه، ثم قال: "أطعمه أهلك"[3] وعند مسلم رحمه الله أن الرجل قال معبراً عن حاله وخوفه: "فقال: احترقتُ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم" قال: وطِئتُ امرأتي في رمضان نهاراً، قال: "تصدق، تصدق" قال: ما عندي شيء..." [4].

فكما هو ظاهر من هذا الحديث الشريف، أن الرجل جاء إلى نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم خائفاً مترقباً معبراً بكلمات تدل على حاله، كقوله: "هلكت" و"احترقت".

وعلى الرغم من قيامه بما يخالف هذا الشهر الفضيل، والذي هو ركن من أركان الإسلام، نجد الرحمة المهداة صلى الله عليه وسلم يرشده ويوجهه برفق ولطف، ثم يضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه، وقد قيل: "إن سبب ضحكه صلى الله عليه وسلم كان من تباين حال الرجل، حيث جاء خائفاً على نفسه راغباً في فداها مهما أمكنه، فلما وجد الرخصة طمع أن يأكل ما أعطيه في الكفارة، وقيل: ضحك صلى الله عليه وسلم من حال الرجل في مقاطع كلامه، وحسن تأتيه وتلطفه في الخطاب وحسن توسله في توصله إلى مقصوده"[5] والمعنى متقارب.

---

(1) العرق: المكتل وهو الزنبيل، انظر: شرح السنة، البغوي 283/6، وفتح الباري، ابن حجر 4/ 169.

(2) اللابتان تثنية لابة، عبارة عن حرتين تكتنفان المدينة، والحرة الأرض ذات حجارة سود. عمدة القاري، العيني 33/11، وإرشاد الساري، القسطلاني 378/3.

(3) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان... 32/3 رقم 1936، واللفظ له، وانظر: صحيح مسلم، كتاب الصيام، تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان 781/2 رقم 1111.

(4) صحيح مسلم، كتاب الصيام، تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان 783/2 رقم 1112.

(5) فتح الباري، ابن حجر 171/4، وعمدة القاري، العيني 33/11، وإرشاد الساري، القسطلاني 378/3.

وهذا يشير إلى رحمته صلى الله عليه وسلم ولطفه في التوجيه والتعليم، فقد قال ابن حجر رحمه الله في أثناء ذكره لفوائد هذه الحادثة: "وفيه الرفق بالمتعلم، والتلطف في التعليم، والتألف على الدين"(1) فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعاقب الرجل عما اقترفه في الشهر الكريم؛ لأن في مجيئه واستفتائه ظهور توبته وندمه عما صدر منه، ولو عوقب السائل لربما كان سبباً في ترك الناس الاستفتاء عند وقوعهم في نازلة، مثل ذلك مخافة العقوبة(2).

وقد بوّب البخاري رحمه الله في صحيحه: "باب من أصاب ذنباً دون الحد، فأخبر الإمام، فلا عقوبة عليه بعد التوبة، إذا جاء مستفتياً"(3).

سادساً: رحمته صلى الله عليه وسلم في خطابه لمن طلب التطهير من الذنب:

ومما يدل على رحمته وشفقته صلى الله عليه وسلم وهو الرحيم بأمته على من اقترف ذنباً يوجب إقامة الحد عليه، تعامله مع الرجل الذي جاء طالباً تطهيره مما وقع فيه من الزنى، وكذلك الحال في حادثة المرأة(4). ذلك الحوار، وتلك المخاطبة التي تظهر فيها رحمته ورأفته صلى الله عليه وسلم بهما، قبل وبعد إقامة الحد الشرعي عليهما.

فقد ورد أنه جاء ماعزُ بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، طهرني، فقال: "ويحك، ارجع فاستغفر الله وتُب إليه"، قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء، فقال: يا رسول الله، طهرني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ويحك، ارجع فاستغفر الله وتُب إليه"، قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء، فقال: يا رسول الله، طهرني، فقال النبي صلى الله عليه

(1) المرجع السابق 172/4، وانظر: عمدة القاري، العيني 34/11.
(2) وقد بين العلماء أن ذلك بخلاف ما فيه حد محدود، ولمزيد من الاطلاع بالإمكان مراجعة عمدة القاري، العيني 33/11، وإرشاد الساري، القسطلاني 379/3، وفتح الباري، ابن حجر 164/4 165.
(3) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب من أصاب ذنباً دون الحد... 166/8.
(4) انظر: صحيح مسلم، كتاب الحدود، من اعترف على نفسه بالزنى 1322/3 رقم 1695.

وسلم: مثل ذلك، حتى إذا كانت الرابعة، قال له رسول الله: "فيم أُطهرُك؟" فاقل من الزنى، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبه جنون؟" فأُخبر أنه ليس بمجنون، فقال: "أشرب خمراً؟" فقام رجُل فاستنكههُ، فلم يجد منه ريح خمرٍ، قال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أزنيت؟" فقال: نعم، فأمر به فرُجم"[1].

وجاء عند مسلم رحمه الله فيما يتعلق بحادثة المرأة أنه صلى الله عليه وسلم قال لوليها: "أحسِن إليها، فإذا وضعت فأتِني بها"[2] فقد أمر صلى الله عليه وسلم بالإحسان إليها رحمة لها[3].

فيلحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم ردد الرجل عدة مرات، ولم يقم عليه الحد، تثبتاً في أمره، ورعاية في ستره، وصيانة لدم المسلم، ورجاء رجوعه عن قوله[4].

وكذلك الحال بالنسبة للمرأة، حتى إنها قالت: يا رسول الله، طهّرني، فقال: "ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه" فقالت: أراك تُريدُ أن تُرَدِّدَني كما رددتَ ماعز بن مالك"[5] وقد قيل إن ويح كلمة رحمة[6] وهو ما يدل عليه سياق الخطاب أيضاً.

ومع أن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم أقام عليهما الحد الشرعي، وحذر أشد التحذير من مثل إتيان هذا الصنيع بقوله: "أو كلما انطلقنا غُزاة في سبيل الله تخلف رجُل في عيالنا، لهُ نَبيبٌ كَنَبِيبِ[7] التيس، علَيَّ أن لا أُوتَى بِرَجُلٍ فعل ذلك إلا نكلتُ به"[8] إلا أنه

(1) المرجع السابق.
(2) المرجع السابق، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى 1324/3 رقم: 1696.
(3) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي 11/ 205.
(4) انظر: إكمال المعلم، عياض 517/5، وشرح صحيح مسلم، النووي 193/11، وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد عبد الباقي 224/4، تحقيق: طه سعد، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط: الأولى، 1424 هـ.
(5) صحيح مسلم، كتاب الحدود، من اعترف على نفسه بالزنى 1322/3 رقم 1695.
(6) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي 199/11.
(7) نبيب التيس: صوته عند السفاد، المرجع السابق 195/11.
(8) صحيح مسلم، كتاب الحدود، من اعترف على نفسه بالزنى 1320/3 رقم: 1694.

صلى الله عليه وسلم عندما اختلف الناس تجاه ما حصل الى فريقين ما بين مادح وذام، أتاهم صلى الله عليه وسلم وهم جلوس، فسلم عليهم، ثم جلس فقال: "استغفروا لماعز بن مالك"، قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك، قال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد تاب توبةً لو قُسمت بين أمةٍ لوسعتهم"[1] وقال صلى الله عليه وسلم في المرأة: "لقد تابت توبة لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟"[2].

سابعاً: رحمته وحلمه صلى الله عليه وسلم بمن آذاه بالفعل والجفاء في المخاطبة:

إن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في خطابه مع المخالف شملت أيضاً من آذوه بفعل أو جفاء في أسلوب المخاطبة، بل نجده صلى الله عليه وسلم يمنع أصحابه من التعرض لهم بقول أو فعل.

ومما يشير إلى ذلك: "أن رجلاً تقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغلظ له فهمَّ، به أصحابهُ، فقال: "دعوه، فإنَّ لصحاب الحق مقالاً، واشتروا له بعيراً فأعطوه إيَّاهُ" وقالوا: لا نجد إلا أفضل من سِنِّهِ، قال: "اشترُوهُ، فأعطوهُ إياهُ، فإنَّ خيركُم أحسنُكُم قضاءً"[3].

فهذا الأعرابي جرى على عادته من جفاء المخاطبة والإغلاظ في المطالبة[4].

(1) صحيح مسلم، كتاب الحدود، من اعتراف على نفسه بالزنى 1322/3 رقم 1695.
(2) المرجع السابق، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى 1324/3 رقم: 1696.
(3) صحيح البخاري، كتاب في الاستقراض وأداء الديون، باب استقراض الإبل 116/3 رقم: 2390، واللفظ له، وانظر: صحيح مسلم، كتاب المساقاة، من استسلف شيئاً فقضى خيراً منه 1225/3 رقم: 1601.
(4) انظر: عمدة القاري، العيني 230/12، وإرشاد الساري، القسطلاني 159/4، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري 455/4، دار الكتب العلمية بيروت، ط: د، ت: د.

ولتجاوزه الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم همَّ بأذيته أصحابه رضي الله عنهم، فمنعهم والتمس له العذر، وأحسن له العطاء[1].

وقد وقع أغرب مما ما تمت الإشارة إليه، حين قال أنس بن مالك[2]. رضي الله عنه: "كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه بُردٌ نجرانيٌّ غليظُ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبهُ جذبةً شديدةً، حتى نظرتُ إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم، قد أثرت به حاشيةُ الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مُر لي من مال الله الذي عِندك، فالتفت إليه صلى الله عليه وسلم فضحك، ثُم "أمر لهُ بعطاءٍ"[3] فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتأثر بسوء أدبه، وجفاء خطابه، ولم يتغير، بل ضحك تلطفاً، ثم أمر له بعطاء ولم يؤاخذه[4].

وفيه دلالة واضحة على كمال رحمته، وما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من الرحمة، وشريف الأخلاق، وليتأسى به من بعده في التحلي بمثل هذه الصفات[5].

ولعله يتضح بجلاء من خلال الأحداث المشار إليها في هذا المبحث، كمال رحمته وشفقته صلى الله عليه وسلم، وكيفية تعامله مع تلك المواقف ومخاطبة أصحابها، مع ملاحظة

---

(1) انظر: فتح الباري، ابن حجر 56/5، وشرح صحيح مسلم، النووي 147/7، وعمدة القاري، العيني 136/12، والأدب النبوي، محمد الخولي 269، دار المعرفة بيروت، ط: الرابعة، 1423 هـ.

(2) أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يتسمى به ويتفخر بذلك، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم علماً جماً، وعن الصحابة، لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة عشر سنين، وكانت إقامته بعد النبي بالمدينة، شهد الفتوح ثم سكن البصرة ومات بها، قيل سنة ثلاث وتسعين، وكان من آخر الصحابة موتاً. انظر: أسد الغابة، ابن الأثير 294/1 رقم 285، والإصابة، ابن حجر 1/ 275 رقم 277، وسير أعلام النبلاء، الذهبي 395/3 رقم 62.

(3) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم 94/4 رقم: 3149، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، إعطاء من سأل بفحش وغلظة 730/2 رقم: 1057.

(4) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان الهروي 5/ 1955 و3711/9، دار الفكر بيروت، ط: الأولى، 1422هـ، وشرح صحيح البخاري، ابن بطال 100/9، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي 532/3، المكتبة التجارية الكبرى مصر، ط: الأولى، 1356هـ.

(5) انظر: عمدة القاري، العيني 312/21، وفتح الباري، ابن حجر 506/10، وشرح صحيح البخاري، ابن بطال 321/5 و100/9، وإرشاد الساري، القسطلاني 226/5.

تنوعها، وأنها وقعت في أهم الشعائر والأمور الخاصة بالمسلمين، كالصلاة، والمسجد، ومفهوم العبادة، وارتكاب ما يخالف صيام شهر رمضان، وما يتعلق بالأعراض، والإغلاظ في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم وأذيته، ومع ذلك نجده صلى الله عليه وسلم يخاطب أصحاب تلك المواقف بمنتهى الرحمة واللطف، ويعالجها برحمة شاملة وفق منهج نبوي متوازن.

وذلك يؤكد مدى الحاجة للتأسي والاقتداء به صلى الله عليه وسلم في تعامله مع المخالف، وما يحدثه ذلك من آثار إيجابية، وبخاصة العلماء والدعاة، المبلغين عن الله سبحانه وتعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم الساعين لنشر دينه الصحيح؛ استجابة لأمره سبحانه وتعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، ورحمة بالخلق؛ كون تلك الرحمة "من أكبر الأسباب التي تنال بها رحمة الله، التي من أثارها خيرات الدنيا، وخيرات الآخرة، وفقدها من أكبر القواطع والموانع لرحمة الله...، فمتى أراد أن يستبقيها ويستزيد منها، فليعمل جميع الأسباب التي تنال بها رحمته...، والإحسان إلى الخلق أثر من آثار رحمة العبد بهم"[1] وهي" رحمة يكتسبها العبد بسلوكه كل طريق ووسيلة، تجعل قلبه على هذا الوصف... فلا يزال العبد يتعرف الأسباب التي يدرك بها هذا الوصف الجليل، ويجتهد في التحقق به، حتى يمتلئ قلبه من الرحمة، والحنان على الخلق...، وهذه الرحمة التي في القلوب، تظهر آثارها على الجوارح واللسان، في السعي في إيصال البر والخير والمنافع إلى الناس، وإزالة الأضرار والمكاره عنهم"[2].

وهذا ظاهر في سيرته العطرة صلى الله عليه وسلم وما تمت الإشارة إليه من أحداث متنوعة في ثنايا هذا المبحث، والتي هي عبارة عن أمثلة ونماذج، ومع ما ذكر فإن رحمته صلى الله عليه وسلم لم تقتصر على المخالف من المسلمين، بل هي كذلك مع غير المسلمين، ولمزيد من الإيضاح لهذه الصورة المشرقة، وللحاجة إلى إبراز هذا التكامل والتوازن، فإنه سيُشار ويُتطرق إليها باختصار من خلال المبحث التالي.

(1) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، السعدي 188.
(2) المرجع السابق 189.

المبحث الثالث

الرحمة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين

حيث تُطرق في المبحث السابق إلى بيان عظيم رحمته ورأفته صلى الله عليه وسلم في خطابه مع المخالف من المسلمين، الذين هم أتباعه وعلى دينه، التي لم تقتصر عليهم، بل تجاوزت إلى أولئك الذين خالفوه في الدين والمعتقد، ومع من ناصبوه وأتباعه العداء، ومارسوا معهم لسنوات أشد أنواع القسوة والعنف والإيذاء، فما كان من الرحمة المهداة للعالمين صلى عليه وسلم إلا منتهى الرحمة والشفقة، ومما يشير إلى ذلك ما يلي:

أولاً: رحمته صلى الله عليه وسلم في خطابه وشفقته بالمخالفين وحرصه على هدايتهم:

فقد قال صلى الله عليه وسلم: "إنما مثلي ومثلُ أُمتي كمثل رجُل استوقد ناراً، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه"[1] فهو حريص على اهتداء ودعوة أمته إلى الإسلام، وتجنيبهم ما هو سبب أذيتهم وهلاكهم، وتنبيههم بمثل هذا المثال على استشعار الحذر، وخوف التورط في محارم الله[2] ومن كمال رحمته وشفقته صلى الله عليه وسلم مقابلة أذاهم بالدعوة بالغفران، والاعتذار بأنهم لجهلهم لا يعلمون[3].

وكما ذكر سابقاً أنه صلى الله عليه وسلم كان رحيماً بالمخالفين له في أحلك وأقسى المواقف، التي تعرض فيها للأذى، حتى إنه صلى الله عليه وسلم وهو مهموم على وجهه الشريف من شدة ما لاقاه منهم؛ يأتيه ملك الجبال لتعذيبهم، فيختار الرحمة بهم وبأجيالهم

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته 1789/4 رقم 2284، واللفظ له، وانظر: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي 8/ 102 رقم 6483.

(2) انظر: إرشاد الساري، القسطلاني 277/9 278/ وشرح صحيح البخاري، ابن بطال 194/10.

(3) انظر: إكمال المعلم، القاضي عياض، 6/ 164 و72/8، وصحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الغار، 175/4 رقم 3477، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، غزوة أحد 1417/3 رقم 1792.

عوضاً عن الانتقام والعذاب، ولذا عندما طلب منه صلى الله عليه وسلم الدعاء على المشركين وقتئذ، بين أنه لم يبعث لعاناً، وإنما بعث رحمة[1].

وهذا من مزيد رحمته وشفقته على أمته وكثرة حلمه[2] ومن ذلك أنه طلب منه صلى الله عليه وسلم أن يدعو على دوس، فدعا لهم، فقد ورد "أنَّ دَوساً، قد هلكت عصت وأبت، فادعُ الله عليهم، فقال: "اللهم اهد دوساً وأتِ بهم"[3].

وقد علق الكرماني رحمه الله على ذلك بقوله: "فإن قلت هم طلبوا الدعاء عليهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لهم، قلت: هذا من كمال خلقه العظيم ورحمته بالعالمين"[4] وفي ذات السياق، قال العيني رحمه الله:" لا شك أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، ومع هذا كان يحب دخول الناس في الإسلام، فكان لا يعجل بالدعاء عليهم ما دام يطمع في إجابتهم إلى الإسلام، بل كان يدعو لم يرجو منه الإنابة"[5] ولا شك أن هذا يدل دلالة واضحة على "كمال خلقه العظيم، ورحمته ورأفته صلى الله عليه وسلم بأمته جزاه الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن أمته"[6].

ثانياً: رحمته صلى الله عليه وسلم في خطابه مع ثُمَامَة بن أُثَال ونتائج ذلك:

كان ثمامة رجلاً من كبار بني حنيفة، وقد اتخذ موقفه المبغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وبلده، فأُسر وأُتي به، وربُط في سارية من سواري المسجد، فكان يرى

(1) انظر: ص 8 من هذا البحث.
(2) انظر: إرشاد الساري، القسطلاني 276/5، وفيض القدير، المناوي 119/2.
(3) صحيح البخاري. كتاب المغازي، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم 44/4 رقم 2937، واللفظ له وانظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، من فضائل غفار وأسلم وجهينة 1957/4 رقم 2524.
(4) الكواكب الدراري، الكرماني 12/ 184، وانظر: فتح الباري، ابن حجر 108/6.
(5) عمدة القاري، العيني 14/ 208، وانظر: شرح صحيح مسلم، النووي 16/ 152.
(6) إرشاد الساري، القسطلاني 110/5.

ويشاهد ما يحدث فيه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمدة ثلاثة أيام يخاطبه ويلاطفه بقوله: "ما عِندَكَ يا ثُمامَةُ؟" فقال: عندي خيرٌ يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم على شاكرٍ، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت"[1] وفي مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لثمامة وتكرار ذلك قال النووي رحمه الله: "إن هذا من تأليف القلوب وملاطفة لمن يرجي إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير"[2] وهو ما حصل، فحين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإطلاقه، ذهب فاغتسل ثم عاد إلى المسجد ليعلن إسلامه، ويبين ما حصل لديه من تغير تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وبلده حين قال: "يا محمد، والله ما كان على الأرض وجهُ أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهُك أحب الوجوه إليَّ، والله ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينُك أحب الدين إليَّ، والله ما كان من بلدٍ أبغضُ إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إليَّ"[3].

وقد حسن إسلامه رضي الله عنه ولم يرتد مع من ارتد من أهل اليمامة، بل إنه منع الحنطة عن قريش حتى يأذن فيها رسول الله، فكتبوا إليه صلى الله عليه وسلم يستعطفونه، فوجه ثمامة أن يعيد ما حبسه عنهم[4] فياله من تعامل رحيم يؤدي إلى مثل هذا التأثير.

ثالثاً: رحمته ولطفه صلى الله عليه وسلم في مخاطبة ومحاورة السائل المشدد في طرحه ونتيجة ذلك:

ومما يشير إلى ذلك أنه حين قدم رجل إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل عنه ثم قال: "يا ابن عبد المطلب فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "قد أجبتُكَ". فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إني سائِلُك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي

(1) صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال 170/5 رقم 4372، واللفظ له، وانظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد، ربط الأسير وحبسه... 1386/3 رقم 1764.
(2) شرح صحيح مسلم، النووي 12/ 89.
(3) صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب وفد بني حنيفة... 170/5 رقم 4372.
(4) انظر المرجع السابق، والكواكب الدراري، الكرماني 10/ 218، وإرشاد الساري، القسطلاني 6/ 433.

في نفسك؟ فقال: "سل عما بدا لك"[1] فعلى الرغم من إخلال السائل برعاية آداب الخطاب[2] إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يلتفت إلى ذلك، بل تواصل معه حتى فرغ مما لديه من استفسارات عن شرائع الإسلام، ثم كانت النتيجة أن أعلن إسلامه، وبين مكانته في قومه حين قال: "آمنت بما جِئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضِمامُ بنُ ثعلبة أخو بني سعد بن بكرٍ"[3]. وقد قيل في فائدة تعريفه بنفسه في نهاية الحوار كونه من المشاهير، أو لأن إيمانه سبب إيمان قومه[4].

وقريب من هذا ما حصل مع الرجل الذي اخترط سيف رسول الله صلى الله وسلم وقال له من يمنعك مني؟، ثم جلس، وعفى عنه صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبه[5] رجاء إسلامه، وسماع قومه منه بصدق محاسن هذه الأخلاق ما يكون سبباً في إسلامهم وسعادتهم، وقد قيل إنه أسلم، ورجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير[6].

رابعًا: رحمته صلى الله عليه وسلم في خطابه مع أبي سفيان وأهل مكة يوم الفتح:

من المواقف الخالدة، والصور النادرة الرائعة التي سطرها التاريخ مع الذين أخرجوا الرحمة المهداة صلى الله عليه وسلم من بلده، واستعملوا معه وأتباعه أشد أنواع القسوة في المحاربة والإيذاء؛ أن يعاملوا ويخاطبوا عند النصر والاقتدار بمنتهى الرحمة، حتى خشي الأنصار رضي الله عنهم أن ما رأوه مؤشراً على رأفته صلى الله عليه وسلم بقومه، ورغبته البقاء معهم بمكة، فطمأنهم صلى الله عليه وسلم وبين مكانتهم، فأقبلوا إليه معتذرين يبكون.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم... 23/1 رقم 63.
(2) انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه، السندي 437/1، دار الجيل بيروت، ط: د، ت: د.
(3) صحيح البخاري، كتاب العلوم، باب ما جاء في العلم... 23/1 رقم 63.
(4) انظر الكواكب الدراري، الكرماني 18/2.
(5) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة بني المصطلق... 116/5 رقم 4139.
(6) انظر: فتح الباري، ابن حجر 428/7، وعمدة القاري، العيني 17/ 199.

وقريش مغتمة، يترقبون ما يحل بهم، فجاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أُبيحت خضراءُ قُريش، لا قُريش بعد اليوم، ثم قال صلى الله عليه وسلم: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن" فقالت الأنصار بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته[1] وحين سمع أبو سفيان تلك المقولة أثناء استعراض جيش المسلمين، ومرور كتيبة الأنصار به: "يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستَحَلُّ الكعبة"[2] أي أنه يوم حرب لا خلاص منه، ويوم مقتله عظمى[3] شكى ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم، وابلغه بما سمع، فما كان من نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم إلا أن خطأ تلك المقولة، وخاطبه صلى الله عليه وسلم بقوله: "ولكن هذا يوم يُعظمُ الله فيه الكعبة، ويوم تُكسى فيه الكعبة"[4].

وعلى الرغم مما ألحقوه به صلى الله عليه وسلم وبدعوته، ومن قدرة جيش المسلمين وقتئذ على المحاسبة والعقاب بل والانتقام، إلا أنه جاء إعلان الأمان والعفو العام للناس سوى نفر قليل، فأضحى ذلك اليوم يوم المرحمة والإعزاز، بدلا من يوم الحرب والإذلال، وذلك من آثار ونتائج رحمته صلى الله عليه وسلم كيف لا! وهو نبي الرحمة المبعوث رحمة للعالمين[5].

(1) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، فتح مكة 1405/3 رقم 1780.
(2) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح 146/5 رقم 4280.
(3) انظر: فتح الباري، ابن حجر 8/8، وإرشاد الساري، القسطلاني 391/6.
(4) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح 146/5 رقم 4280.
(5) انظر: إرشاد الساري، القسطلاني 391/6، وفتح الباري، ابن حجر 9/8، والسيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري 2/ 478 481، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، ط: السادسة، 1415هـ.

خامساً رحمته صلى الله عليه وسلم بعيادة الغلام اليهودي ودعوته إلى الإسلام:

ورد في الحديث أن غلاماً يهودياً كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض، "فأتاهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يعُودهُ، فقعد عند رأسه، فقال له: "أسلم"، فنظر إلى أبيه وهو عنده "كالمستشير له في طاعة ما أمر به"[1] فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار"[2] فمن شفقته ورحمته صلى الله عليه وسلم عيادته، ودعوته وفرحه بإسلام هذا الغلام الذي شارف على الهلاك، وفي ذلك "إظهار محاسن الإسلام، وزيادة التآلف بهم ليرغبوا في الإسلام"[3].

سادساً: رحمته صلى الله عليه وسلم في موقف وفاة عبد الله بن أبيّ:

وكما مر في الأمثلة والنماذج السابقة أن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم ورأفته في قوله وفعله مع المخالف، أياً كان توجهه ومعتقده ظاهرة بيّنة، فهذا عبد الله بن أبيّ الذي نزل فيه قرآن يتلى، وسطرت كتب السير والتاريخ ما ألحقه من أذى برسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته، ومع ذلك نجد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم يتعامل مع الموقف بالرحمة المعهودة، فقد ورد"أن عبد الله بن أُبي لما تُوفِّي، جاء ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أُكفنه فيه، وصل عليه، واستغفر له، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم قميصه..." [4].

(1) دليل الفالحين، محمد الشافعي 375/6، اعتني به: خليل شيحا، دار المعرفة بيروت، ط: الرابعة، 1425 هـ.
(2) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات... 94/2 رقم 1356.
(3) عمدة القاري، العيني 175/8.
(4) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الكفن في القميص... 76/2 رقم 1269.

وفي هذا الصدد قال الخطابي رحمه الله: "إنما فعل النبي مع عبد الله بن أبي ما فعل لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين، ولتطييب قلب ولده عبد الله الرجل الصالح، ولتألف قومه من الخزرج لرياسته فيهم، فلو لم يجب سؤال ابنه، وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي الصريح؛ لكان سبة على ابنه وعاراً على قومه، واستعمل أحسن الأمرين في السياسة إلى أن نهي فانتهى"[1] وقال النووي رحمه الله: "قيل إنما أعطاه قميصه وكفنه فيه تطييباً لقلب ابنه فإنه كان صحابياً صالحاً، وقد سأل ذلك فأجابه إليه...، وفي هذا الحديث بيان عظيم مكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الإيذاء، وقابله بالحسنى فألبسه قميصاً كفناً..." [2].

وهكذا فإن "علامة الرحمة الموجودة في قلب العبد: أن يكون محباً وصول الخير لكافة الخلق عموماً، وللمؤمنين خصوصاً، كارهاً حصول الشر والضرر عليهم، فبقدر هذه المحبة والكراهة تكون الرحمة"[3].

(1) تحفة الأحوذي، المباركفوري 398/8، وانظر: معالم السنن، الخطابي 298/1، وشرح صحيح البخاري، ابن بطال 263/3، وفيض الباري، محمد شاه 18/3 19.

(2) شرح صحيح مسلم، النووي 15/ 167، وانظر: عمدة القاري، العيني 55/8.

(3) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، السعدي 189.

الخاتمة

يتبين من خلال هذا البحث رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في خطابه مع المخالف، وكيفية معالجته لتلك المواقف والأحداث، مما يعطي دلالة واضحة، ومؤشراً قوياً على ما يتسم به منهج الإسلام من الرحمة، والشفقة في التعامل مع الناس على اختلاف أصنافهم وأديانهم. ويؤكد ذلك ويعززه على سبيل المثال ما حصل مع أهل مكة، فعلى الرغم من شدة وقسوة ما لاقاه وأتباعه منهم، فإنه صلى الله عليه وسلم عاد إليهم خلال سنوات منتصراً فاتحاً رحيماً، غير ناقم، ناشراً للرحمة والخير والسلام لمن آذوه وأخرجوه من وطنه.

كما تمت الإشارة إلى أن الرحمة والإحسان وحب الخير للناس عموماً من المسلمين وغير المسلمين مأمور به شرعاً، ولا تعارض بينه وبين التودد المذموم المنهي عنه.

وتبيّن أيضاً من خلال ما رصدته ولاحظته في ثنايا هذا البحث الآثار الإيجابية للخطاب والممارسة العملية الرحيمة على المدعوين، والناس عموماً.

ويظهر أيضاً من خلال ما ورد في هذا البحث من أمثلة ونماذج رائعة، وغيرها في السيرة كثير، أنها ليست مجرد أمثلة بل بالإمكان أن تكون منهج حياة ومصدر سعادة، ليس للمسلمين فحسب، بل للبشرية ككل، فعظمة هذا التاريخ النبوي، وسيرته العطرة، يجب أن تكون مصدر فخر واعتزاز للمسلمين عامة، ولحملة العلم، والدعاة إلى الإسلام، والمثقفين خاصة؛ بفهمها الفهم المتكامل، وتبليغها بالحسنى.

وأخيراً مما يوصى به في ختام هذا البحث ما يلي:

- أن يبذل علماء الأمة ودعاتها ومثقفيها المزيد من الجهد لتأكيد ما يحمله الإسلام من رحمة ورأفة للبشرية جمعاء، ودراسة الظواهر المخالفة لذلك، وما يثار من اتهامه وأتباعه بالقسوة والعنف؛ جراء ممارسات خاطئة غير مسئولة، أو اتخاذ مواقف سلبية مسبقة دون نظر أو تمحيص، والسعي لمعالجتها وفق منهج علمي رصين.
- إجراء دراسات ميدانية على الخطاب الموجه للمخالف، والتعامل معه في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، ومقارنتها بما حصل في العهد النبوي.
- مدى إمكانية إجراء دراسات تقييميه على الخطباء والوعاظ والإعلاميين؛ لرصد طبيعة الخطاب الموجه للمخالف خصوصاً، وما يحتويه من مظاهر الرحمة وخلافها.
- عقد برامج ودورات تدريبية للخطباء والوعاظ، ومن يتولى توجيه الناس والتعامل معهم؛ للإسهام في تعزيز هذه القيم وتحويلها لواقع معاش في حياتهم.
- القيام بأبحاث تخاطب الآخرين بلغتهم، كعقد مقارنات بين الرحمة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع المخالف، وما يقابلها في تلك الحقبة وغيرها لدى الثقافات الأخرى.

قائمة المصادر المراجع:

1. القرآن الكريم.
2. الأدب النبوي، محمد الخولي، دار المعرفة بيروت، ط: الرابعة، 1423هـ.
3. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، ط: الأولى، 2004م.
4. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي معوض وزميله، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، 1415هـ.
5. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع العاصر، د. عبد الرحيم المغذوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع الرياض، ط: الثانية، 1431هـ.
6. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، تحقيق: عادل عبد الموجود وزميله، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، 1415هـ.
7. أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط: التاسعة، 1421هـ.
8. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، دار الفكر بيروت، ط: د، 1415هـ.
9. إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د.يحي إسماعيل، دار الوفاء مصر، ط: الأولى، 1419هـ.
10. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، السعدي، تحقيق: عبد الكريم الدريني، مكتبة الرشد، ط: الأولى، 1422هـ بيروت، ط: الأولى، 1403هـ.

11. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط: الأولى، 1418هـ.

12. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، دار الكتب العلمية بيروت، ط: د، ت: د.

13. التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، ط: الأولى، 1416هـ.

14. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط: الثانية، 1420هـ.

15. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى: 1420هـ.

16. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وزميله، دار الكتب المصرية القاهرة، ط: الثانية، 1384 هـ.

17. حاشية السندي على سنن ابن ماجه، دار الجيل بيروت، ط: د،ت: د

18. حاشية السندي على سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، ط: الثانية، 1406هـ.

19. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، دار الفكر بيروت، ط: د، ت:د.

20. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي الشافعي، اعتني به: خليل شيحا، دار المعرفة بيروت، ط: الرابعة، 1425هـ.

21. رحمة الله أسبابها وآثارها، د. مسفر الغامدي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد 45 ربيع الأول إلى جمادى الثانية 1416هـ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء المملكة العربية السعودية.

22. الرحمة في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، أ.د. حصة الزيد، دار التدمرية، الرياض، ط: الأولى، 1435هـ.

23. الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، أ.د. راغب السرجاني، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته الرياض، ط: الثانية، 1431هـ.

24. الرسول الإنسان إنسانيته مع غير المسلمين، د. صالح الزهراني، ديبونو للنشر، الأردن، ط: الأولى، 2011م.

25. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، 1415هـ.

26. سير أعلام النبلاء، الذهبي تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، 1405هـ.

27. السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، د. أكرم العمري، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، ط: السادسة، 1415هـ.

28. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي، تحقيق: طه سعد، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط: الأولى، 1424هـ.

29. شرح السنة، البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد الشاويش، المكتب الإسلامي دمشق، بيروت، ط: الثانية، 1403هـ.

30. شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: أبو تميم، مكتبة الرشد الرياض، ط: الثانية، 1423هـ.

31. صحيح البخاري، البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى، 1422هـ.

32. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، رقمه: محمد عبد الباقي، صححه وأشرف على طباعته: محب الدين الخطيب، دار المعرفة بيروت، 1379هـ.

33. صحيح مسلم، مسلم، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط: د، ت: د.

34. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب، تحقيق: محمد عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية المدينة النبوية، ط: الأولى، 1417هـ.

35. الفروق، القرافي، عالم الكتب بيروت، ط.د، ت.د.

36. فقه التعامل مع المخالف، د. عبد الله الطريقي، دار الوطن الرياض، ط: الأولى 1415هـ.

37. فيض الباري على صحيح البخاري، محمد أنور شاه، تحقيق: محمد الميرتهي، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، 1426هـ.

38. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي، المكتبة التجارية الكبرى مصر، ط: الأولى، 1356هـ.

39. القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، د. سعدي أبو جيب، دار الفكر- دمشق، ط: الثانية، 1408هـ.

40. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط: الثامنة، 1426هـ.

41. كتاب التعريفات، الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية.

42. كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، عبد الوهاب أب وسليمان، دار الشروق، ط: السادسة، 1416هـ.

43. الكواكب الداري في شرح صحيح البخاري، الكرماني، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط: الثانية، 1401هـ.

44. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، ط: الثالثة، 1414هـ.

45. محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد السود، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، 1418هـ.

46. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، 1422هـ.

47. مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية بيروت، صيدا، ط: الخامسة، 1420 هـ.

48. المدخل إلى إعداد البحوث والرسائل الجامعية في العلوم الاجتماعية أ.د. عبد الله الوليعي، توزيع مكتبة جرير، ط: الأولى، 1433هـ.

49. المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د. صالح العساف، شركة العبيكان للطباعة الرياض، ط: الأولى، 1409هـ.

50. المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد البيانوني، مؤسسة الرسالة بيروت، ط: الثالثة، 1434 هـ.

51. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد الهروي، دار الفكر بيروت، ط: الأولى، 1422 هـ.

52. مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، محاضرات: د. سارة آدم، إعداد: أ.د. زيد العيص، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته الرياض، ط: الثالثة، 1431هـ.

53. معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط: الأولى، 1420هـ.

54. معالم السنن شرح سنن أبي داود، الخطابي، المطبعة العلمية حلب، ط: الأولى، 1351 هـ.

55. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان الداوودي، دار القلم، الدار الشامية دمشق، بيروت، ط: الأولى، 1412هـ.

56. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى وآخرون) دار الدعوة، ط: د، ت: د.

57. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط: د، 1399هـ.

58. مفاتيح الغيب، الرازي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط: الثالثة، 1420هـ.

59. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محمد مستو وآخرون، دار ابن كثير دمشق، ط: الأولى، 1417هـ.

60. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي وزميله، المكتبة العلمية بيروت، ط: د، 1399 هـ.

61. نيل الأوطار، الشوكاني، تحقيق: عصام الصبابطي، دار الحديث مصر، ط: الأولى، 1413هـ.

62. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم الدار الشامية دمشق، بيروت، ط: الأولى، 1415هـ.